ALTRALANG Journal
Volume: 02 Issue: 02 / December 2020 pp. 331-341
e-ISSN: 2710-8619 p-ISSN: 2710-7922

المفارقات الزمنية في ثلاثية أحلام مستغانمي

BELHOR Yakout ياقوت بلحر[1]
[1]جامعة وهران 2 محمد بن احمد، الجزائر
yakout_0804@yahoo.fr

استلم: 2020/08/10، **مقبول:** 2020/12/21، **نشر:** 2020/12/31

The Temporal Paradoxes in Ahlam Mosteghanemi's Trilogy

ABSTRACT: *This research examines the narrative paradoxes in Ahlam Mosteghanemi's Trilogy, aiming to explore the extent to which the novelist transcends the linearity of time. The arrangement of events is achieved through narrative paradoxes, primarily manifested in retrospection and anticipation. Each paradox possesses its own magnitude and breadth, representing the space between the narrative break and the commencement of recalled or anticipated events. The paradoxes can encompass a specific duration, which may vary in length. Retrospection has predominantly pervaded the textual landscape of the narrative discourse in comparison to anticipation, which serves as a fleeting glimpse of forthcoming events. Thus, Mosteghanemi's trilogy stands out as an exemplary discourse of memory.*

Keywords: Anticipation, retrieval, fictional discourse, narration, time, Mostaghanemi.

الملخص: يعالج هذا البحث المفارقات السردية في ثلاثية أحلام مستغانمي، محاولا الوقوف على مدى اختراق الروائية لخطية الزمن، حيث يتحقق ترتيب الأحداث من خلال المفارقات السردية التي تتمثل أساسا في الاسترجاعات والاستباقات، ويكون لكل مفارقة مدى واتساعا، وهذا المدى هو المجال الفاصل بين نقطة انقطاع السرد، وبداية الأحداث المسترجعة أو المتوقعة، ويمكن أن تغطي المفارقة مدة معينة قد تطول أو تقصر.وقد اكتسح الاسترجاع المساحة النصية للخطاب الروائي،مقارنة بالاستباق الذي أدى دور الومضة الإعلانية لأحداث لاحقة، فكانت الثلاثية خطاب الذاكرة بامتياز.

الكلمات المفتاحية: الاستباق،الاسترجاع، الخطاب الروائي، السرد،الزمن، مستغانمي.

ALTRALANG Journal
Volume 02 Issue 02 / December 2020

مقدمة:

يعد الزمن عنصرا أساسيا في بناء الخطاب الروائي، فلا يمكننا أن نتصور حدثا روائيا خارج الزمن، لأنه يؤثر في العناصر الأخرى، وينعكس عليها،فـ"الزمن حقيقة مجردة سائلة لا تظهر إلاّ من خلال مفعولها على العناصر الأخرى"[1]، فلا يتم السرد إلا بوجود الزمن.

وعليه، تكون المفارقات الزمنية من الركائز الأساسية التي ينبني عليها الخطاب الروائي المعاصر،إذ تتنوع أشكال البناء الزمني في الخطاب الروائي،حيث إنّ الرواية المعاصرة أضحت تعتمد على الحكاية المتعددة الاتجاهات الزمنية.

فالروائي ليس مجبرا على تتبع التسلسل الزمني للحكاية. بل " يختار نقطة البداية التي تحدد حاضره، وتضع بقية الأحداث على خط الزمن من ماض ومستقبل"[2]، ومن تم هو يعتمد المفارقات الزمنية من حيث هي " طريقة في الكتابة غايتها تأجيل المغزى، وإثارة المتلقي عبر صوغ بلاغي يستعمل الكاتب فيه – أي في هذا الصوغ- اللغة بشكل خادع"[3]، بغية التشويق وإيهام القارئ بالواقعية.

وتنقسم المفارقات الزمنية إلى قسمين هما: الاسترجاع والاستباق، كما يؤكد ذلك حميد لحميداني بقوله :" المفارقة إما أن تكون استرجاعا لأحداث ماضية، أو تكون استباقا لأحداث لاحقة"[4].

[1] سيزا قاسم 1984، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ص27.

[2] سيزا قاسم، بناء الرواية، ص41.

[3] أحمد رحيم كريم الخفاجي 2012، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع- عمان، ط1، ص351.

[4] حميد لحميداني 2000، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1،، ص74.

ALTRALANG Journal
Volume 02 Issue 02 / December 2020

1- الاسترجاع:

وهو العودة الى نقطة ما قبل الحكي، وذلك بـ"استرجاع الأحداث الماضية، بحيث يقطع (الكاتب)السرد، ليعود إلى وقائع تأتي سابقة في ترتيب زمن السرد عن مكانها الطبيعي في زمن القصة"[5]، إذ يستعيد السارد أو الشخصية حدثا ما وقع في الماضي القريب أو البعيد.

وقد قسّم "جيرار جنيت" الاسترجاع إلى ثلاثة أنواع رئيسية:

1.1- الاسترجاع الخارجي: ويقصد به " استرجاع السارد أو الشخصيات لحدث بعيد وقع قبل بداية القصة"[6]؛ أي إنّه خارج النّص، فهو "ذلك الاسترجاع الذي يتناول حادثة أسبق من المنطلق الزمني للحكاية الأولى، و بذلك تظل سعته كلها خارج الحكاية الأولى"[7]؛ بمعنى أنّ سعته الزمنية واقعة خارج نقطة البداية التي ينطلق منها حاضر القصة.

وكثيرة هي الاسترجاعات في خطابنا الروائي، قد نذكر منها استرجاع السارد ذكرى أمه في المرة الأولى لدى رؤيته لسوار حياة، " مددت يدي...وفي عمر لحظة عادت ذاكرتي عمرا إلى الوراء. إلى معصم (أمّا) الذي لم يفارقه هذا السوار قطّ"[8]، ورغم أنّ هذا الاسترجاع لم يسع إلا سطرين أو ثلاث، لكنه امتد إلى عمق ثلاثين سنة. وفي مرة أخرى لدى رؤيته لحقيبة " زياد" التي لم يعرف ماذا يفعل بها، فاسترجع ماذا يفعل الناس مع أشياء الموتى "أحاول أن أتذكر ....فتعود (أمّا) إلى الذاكرة ومعها تلك الأيام المؤلمة التي سبقت وتلت وفاتها"[9]،وامتد هذا الاسترجاع لصفحتين أو أكثر استرجع فيه ذكرى وفاة امه وما فعله النسوة بملابسها،علّه يستدل لما يفعله مع هذه الحقيبة التي تعد أثرا لميت هي الأخرى.

و غير بعيد عن الموتى، يسترجع ذكرى الشهداء، وعلاقته بهم ، كعلاقته بسي الطاهر رفيق سلاحه، وذكرياته مع سجن الكديا، " كان في مصادفة وجودي مع (سي الطاهر) في

[5] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، ص74.
[6] جيرار جنيت، خطاب الحكاية 2003، ترجمة محمد معتصم وعمر الأزدي عمر الحلي، منشورات الإختلاف- الجزائر، ط3، ص48.
[7] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص60
[8] أحلام مستغانمي 2010، ذاكرة الجسد، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان ،ط26، ص53.
[9] ذاكرة الجسد، ص251.

ALTRALANG Journal
Volume 02 Issue 02 / December 2020

الزنزانة...التقيت بقدرك"[10]. و في مقام آخر يسترجع ذكرى (بلال حسين) أحد رجال التاريخ المجهولين الذي " قضى سنتين في السجن والتعذيب. ترك فيهما جلده على آلات التعذيب"[11]، وفي هذا الاسترجاع الذي امتد حوالي الصفحتين إحالة رمزية إلى رجال ضحوا بالنفس والنفيس ولم يذكرهم التاريخ بأسمائهم، بل كانوا رجال الثورة المجهولين، منهم الجندي المجهول .والشهيد المجهول، كما لم ينسى السارد أن يسترجع بالمقابل مرابطو الزنزانة رقم"8" منهم الشهيد مصطفى بن بولعيد ،" في الزنزانة رقم 8....بينهم مصطفى بن بولعيد...وآخرون"[12]. ويسترسل السارد استرجاعه لما حدث لبن بولعيد وزملائه في الكفاح والزنزانة. وكأنه يوثّق للثورة أدبياً.

وتتوالى الاسترجاعات لتغوص في أعماق ذاكرة السارد وتنبش ما أمكن من تاريخ الثورة وماتلاها. اذ تسترجع هذه المرة الساردة "حياة" ذكرى احتلال فرنسا الجزائر لدى رؤيتها لشاطئ سيدي فرج " فهنا رست سفنها الحربية، ذات 5 يوليو من صيف 1830...المستعمرين"[13]، وتسرسل قائلة :" وشاءت الأقدار...أن يجعلوا فرنسا تغادر الجزائر ...ليصبح 5 يوليو أيضا تاريخ استقلالنا"[14]. وكانت هذه الومضة الاسترجاعية توثيقا أدبيا لتاريخي احتلال واستقلال الجزائر.

و لم ينته الاسترجاع التوثيقي هنا، بل امتد إلى الأمير عبدالقادر وهو الرجل الذي "وهبنا كبرياء التاريخ.وأسس لنا أول دولة جزائرية أذهلت فرنسا نفسها"[15]، ثم جميلة بوحيرد " أتذكر جميلة بوحيرد التي، أثناء الثورة، جاءت يوما إلى هذا المقهى نفسه. متنكرة في ثياب أوروبية...فدائية"[16]. ثم تسترجع ماضي بوضياف وحادثة اغتياله أمام الملأ " قبل أن ينهي جملته، كان أحدهم...يلقي قنبلة تمويهية....يفرغ سلاحه في جسد بوضياف، هكذا مباشرة

[10] ذاكرة الجسد، ص32.
[11] ذاكرة الجسد، ص321.
[12] ذاكرة الجسد، ص323.
[13] أحلام مستغانمي 2011، فوضى الحواس، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط20، ص143.
[14] فوضى الحواس، ص143
[15] فوضى الحواس، ص169.
[16] فوضى الحواس، ص171.

ALTRALANG Journal
Volume 02 Issue 02 / December 2020

أمام المشاهدين....كان كل شيء جاهز كي لا يخلف بوضياف هذه المرة موعده مع الموت...فكان آخر من يصل من المصابين"[17].

ونخلص مما سبق، إلى أنّ الاسترجاع الخارجي اعتمدته الروائي كأداة للتوثيق التاريخي أدبيا، لأحداث هامة شهدها التاريخ الجزائري.

2.1- الاسترجاع الداخلي:

و يعني استرجاع أحداث ماضية متضمنة في الحقل الزمني للمحكي، وهو ذو صلة مباشرة بالشخصيات و أحداث القصة، فـ" تسير في خط زمني واحد بالنسبة للزمن الروائي"[18]. فمدى هذا الاسترجاع لا يتسع لما هو خارج المحكي. لأنّه يقع مقابل الاسترجاع الخارجي، وهو ينقسم إلى نوعين:

1.2.1. استرجاعات خارج حكائية:

هي استرجاعات " تحتوي مضمونا حكائيا يختلف عن مضمون المحكي الأول"[19]، وهو يفيد في إضاءة بعض الجوانب التي لم نتمكن من التعرف عليها خطيا ، فمباشرة بعد سماع السارد لرسالة صوتية تركها له مراد، استعاد ماضيه وتفاصيل إقامته في باريس " كان مراد مثقفا معروفا... كاد مراد أن يفقد رأسه في ميتة ملفقة..... تقاسمنا معا أيام الرعب في ذلك السكن الأمني في مازافران"[20]. وفي هذا الاسترجاع الخارج حكائي، تعمد الروائية إلى التوثيق إلى موجة اغتيالات الصحافيين سنين العشرية السوداء.

17 فوضى الحواس، ص336-337.
18 وليد النجار 1985، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، دار الكتاب اللبناني، ط1، ص96.
19 أحمد مرشد 2005، البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت- عمان، ط1، ص244.
20 أحلام مستغانمي 2003،عابر سرير ، منشورات أحلام مستغانمي، بيروت-لبنان، ط3، ص67-68.

ALTRALANG Journal
Volume 02 Issue 02 / December 2020

2.2.1. استرجاعات داخل حكائية:

وهي تشغل الخط الزمني الذي يسير عليه المحكي الأول، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع:

*** الاسترجاعات التكميلية :**

وترد لسد ثغرات يتركها محكي سابق، والتي تكون غالبا " نقائص في الاستمرار الزمني"[21]، و قد نذكر منها استرجاع تفاصيل موت ابن أخيه سليم " من بين كل الميتات التي عايشتها في هذا العمر كانت ميتة سليم هي الأكثر ألما....كان جسده مخرما. أصبحت معركتنا في الأيام اللاحقة مع الاسمنت"[22]. وهو يحاول من خلال هذا الاسترجاع أن يوضح سبب تعلّق زيان بر وترد " للتذكير بأحداث ماضية سبق ذكرها"[23]، حيث يتراجع الحكي سم الأبواب بعدما كان هاجسه رسم الجسور.

*** الاسترجاعات التكرارية:** إلى الوراء بشكل صريح.،"ووجدتني استعيد ما عشته منذ سنتين بعد اغتيال عبد الحق...والاخر"[24]. فقد كان خالد أمام كل موت يجد نفسه في الموقف ذاته،فمن أشياء أبيه، إلى أشياء عبد الحق، إلى أشياء زيّان.

*** الاسترجاعات الجزئية :**

وظيفتها تقديم معلومة ضرورية لعنصر محدد في حركة الحكي، حيث يتم فيها استرجاع لحظة ماضية،" تظل معزولة في تقادمها، ولا يسعى إلى وصلها باللحظة الحاضرة"[25]. ممّا يساعد على فهم جانب معين من مسار الأحداث. فعندما وخزته ذاكرته تحت تأثير الطرب القسنطيني، أراد أن يحدثنا عن زوج حياة " لا أدري كيف أعادني رقصه إلى زوجها...كان مراد"[26] ،

[21] أحمد مرشد، البنية والدلالة، ص248

[22] عابر سرير، ص261-263.

[23] G.Genette, Figure III, Edition Seuil, 1972, P101.

[24] عابر سرير، ص236.

[25] أحمد المرشد، البنية والدلالة، ص257.

[26] عابر سرير، ص129-130.

ALTRALANG Journal
Volume 02 Issue 02 / December 2020

وبعد إنهاء الخبر، استأنف مباشرة من حيث انقطع الحكي، لكن يظل هذا الخبر معزولا لا يحدث أي خلل في مسار الحكي.

ونخلص ممّا سبق، إلى أن الروائية عمدت إلى ادخال تقنية الاسترجاع، دون أن تحدث خللا في البناء الزمني للخطاب الروائي ، وقد تحقق هذا الالتحام استنادا إلى المونولوج الداخلي والغوص في أعماق الذاكرة.

2. الاستباق:

وهو " مخالفة لسير زمن السرد تقوم على تجاوز حاضر الحكاية وذكر حدث لم يحن وقته بعد"[27]، فالسارد هنا يورد حدثا لم يتحقق بعد في مجرى السرد، وبعبارة أخرى، هو " تقنية زمنية تخبر صراحة أو ضمنا عن أحداث سيشهدها السرد الروائي في زمن لاحق"[28]. لكن، الاستباق يظلّ أقلّ تواترا من الاسترجاعات، وقد يتجلى أكثر في الحكاية التي تسرد بضمير المتكلم.

وينقسم الاستباق إلى أنواع نذكر منها:

1.2. الاستباق الداخلي: وهو عادة ما يطرح " مشكل التداخل، ومشكل المزاوجة بين الحكاية الأولى، والحكاية التي يتولاها المقطع الاستباقي"[29]. حيث يستبق خالد الأحداث بالإعلان عن مدى الحزن الذي يشعر به بعد انتهاء قصته مع حياة " يمكنني اليوم، بعدما انتهى كل شيء أن أقول: هنيئا للأدب على فجيعتنا...كتاب"[30]

ويتضمن هذا النوع من الاستباق نوعان:

[27] نضال الشمالي 2006، الرواية والتاريخ، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، ص165.
[28] نفلة حسن أحمد العزي 2010، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، دار غيداء للنشر والتوزيع-عمان، ط1، ص69.
[29] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص79.
[30] ذاكرة الجسد، ص7.

ALTRALANG Journal
Volume 02 Issue 02 / December 2020

1.1.2. الاستباق الداخل حكائي: الذي يضم قصة مماثلة للقصة الأولى، وهو بدوره ينقسم إلى قسمين:

* **الاستباق الداخل حكائي التكميلي:** وهي تلك الاستباقات " التي تسد مقدّما ثغرة لاحقة في الحكي"[31]. إذ تعدّ استشرافات يتكئ عليها السارد لتبيان مستقبل الشخصية مسبقاً. وبالتالي، يعفي السارد من إعادة حكيه ثانية في موقع لاحق. مثلا" قررت أن أجعل لقاءاتنا...حول فرانسواز"[32]، وهنا نجد السارد يستبق الأحداث بقراءته لما في نية مراد.

* **الاستباق الداخل حكائي التكراري:** يتضمن هذا الاستباق شرحا مقتضبا، على أن يتطرق إليه السارد لاحقا بتفصيل أعمق، فهو "يحيل مسبقا على حدث سيحكى في حينه بتطويل"[33] . حيث أعلنت الساردة مسبقا عن انفصال البطلين"بإحدى هذه الكلمات، بدأت قصتهما منذ سنة. تماما كما بإحداهن انتهت منذ شهرين"[34] ، ثم نجدها تكرر خبر انفصالهما " يوم سمعت منه هذا الكلام، لم تحاول أن تتعمق في فهمه. فقد كان ذلك في زمن جميل اسمه "بدءا" "[35]. ونجدها لاحقا تعطي تفاصيلا لانفصالهما بعد تسرد ما حدث بينهما.

2.1.2. الاستباق خارج حكائي: ويسميه ج.جنيت بالاستباق غيريّ القصة،وهذا النوع "لا يهدده خطر التداخل بين الحكاية الأولى والحكاية الثانية"[36].ف" لو أطال البقاء...سوى فرانسواز"[37].فهذا الاكتشاف لم يجعل خالد يجزم بفعلية ما توقعه، ولم تتداخل الأحداث.

---

[31] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص80.
[32] عابر سرير، ص74-75.
[33] سعيد يقطين 1997 ، تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط3، ص96.
[34] فوضى الحواس، ص18
[35] فوضى الحواس، ص19.
[36] جيرار جنيت، خطاب الحكاية،ص79.
[37] عابر سرير، ص154.

ALTRALANG Journal
Volume 02 Issue 02 / December 2020

2.2. الاستباق الخارجي: وتأتي هذه الاستباقات لتقدّم لنا ملخصات حول ما سيحدث في المستقبل لوضعنا على عتبة النهاية. فلهذا الاستباق " وظيفة ختامية تصلح للدفع بخط عمل ما إلى نهايته المنطقية"[38]. من نحو " عابرة سبيل...سبيلها"[39].

وتبعا لما سبق، يمكننا القول إنّ معظم الاستباقات جاءت داخلية، لم تتجاوز حدود المحكي الأول. وهذا ما جعلها تعلن أشياء حدثت في الماضي الذي اكتسح مساحة النص الروائي.

خاتمة:

وبعد مجاورتنا للمفارقات السردية في خطابنا الروائي، نخلص إلى أنّ ظهور الاستباق كان محتشما، مقارنة مع الاسترجاع. ذلك أن البناء العام للخطاب الروائي في ثلاثية أحلام مستغانمي، يقوم على فعل العودة إلى الماضي، بل هو يرتكز أساسا على زخم الذاكرة.

فالثلاثية تنفتح على نهاية الحكاية، ثم تغوص بعمق الذاكرة لتعود إلى حاضر النص.

[38] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص79

[39] عابر سرير، ص7.

ALTRALANG Journal
Volume 02 Issue 02 / December 2020

المصادر

- Aḥlām Mustaghānimī 2003, ‘ābir Sarīr, Manshūrāt Aḥlām Mustaghānimī, Bayrūt-Lubnān, ṭ3.
- Aḥlām Mustaghānimī 2010, dhākirat al-jasad, Dār al-Ādāb lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, byrwt-Lubnān, ṭ26.
- Aḥlām Mustaghānimī 2011, Fawḍá al-ḥawāss, Dār al-Ādāb lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, Bayrūt-Lubnān, ṭ20.

المراجع

- Aḥmad Raḥīm Karīm al-Khafājī 2012, al-muṣṭalaḥ al-sardī fī al-naqd al-Adabī al-‘Arabī al-ḥadīth, Dār Ṣafā’ lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wāltwzy‘-‘Ammān, Ṭ1.
- Aḥmad Murshid 2005, al-binyah wa-al-dalālah fī Riwāyāt Ibrāhīm Naṣr Allāh, al-Mu’assasah al-‘Arabīyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, Dār al-Fāris lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, byrwt-‘Ammān, Ṭ1.
- Jīrār jnyt, Khaṭṭāb al-ḥikāyah 2003, tarjamat Muḥammad Mu‘taṣim wa-‘Umar al-Azdī ‘Umar al-Ḥillī, Manshūrāt al’khtlāf-al-Jazā’ir, ṭ3, ṣ48.
- Ḥamīd Laḥmīdānī 2000, Binyat al-naṣṣ al-sardī min manẓūr al-naqd al-Adabī, al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, al-Dār al-Bayḍā’, Bayrūt, Ṭ1.
- Sa‘īd Yaqṭīn 1997, taḥlīl al-khiṭāb al-riwā’ī (alzmn-alsrd-altb’yr), al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wāltwzy‘-Bayrūt, ṭ3.
- Sīzā Qāsim 1984, binā’ al-riwāyah (dirāsah muqāranah lthlāthyh Najīb Maḥfūẓ), al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, al-Qāhirah.

ALTRALANG Journal
Volume 02 Issue 02 / December 2020

- Niḍāl al-Shamālī 2006, al-riwāyah wa-al-tārīkh, ʻĀlam al-Kitāb al-ḥadīth, al-Urdun, Ṭ1.
- Naflah Ḥasan Aḥmad al-ʻIzzī 2010, Tiqniyāt al-sard wa-ālīyāt tshkylh al-Fannī, Dār Ghaydāʼ lil-Nashr wāltwzyʻ-ʻmān, Ṭ1.
- Walīd al-Najjār 1985, Qaḍāyā al-sard ʻinda Najīb Maḥfūẓ, Dār al-Kitāb al-Lubnānī, Ṭ1.
- G.Genette, Figure III, Edition Seuil, 1972.